يحمل قدره القاسي معه ، ذلك القدر الذي تبعثه فينا تلك التساؤلات في نهاية المقطع . بالرغم من استعطاء الشاعرة

« أعطنا حبا ، فبالحب كنوز الخير فينا تتفجر »

ولكن هذا الآتي والذي سيكون « ضميرا غائبا » لا يتضح ، يحمل بين يديه غموضه وقسوته معا . وسيظل « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له . الى ان يتجسد، بعد « حزيران » ، وفاجعته الواقعية الملموسة في « الفدائي الفلسطيني » . وليس من السهل أن يتضح هذا « الفدائي » أمامنا ، نافضا عنه كل ذلك التراث من وهمية « ضمير الغائب » الذي لا وجود له . فستبقى صورته مهزوزة ومائعة ، الا في بعض ما كتبته فدوى طوقان ، وخاصة قصيدتها « حمزة » .

صورة « ضمير الغائب » الذي كان « فراغا » و« لا شيئا » و« حلما » لا لون له . تحدثنا الشاعرة عنه بهذه الطريقة الواضحة :

« كان وهما ، نحن اعطيناه شكلا وحياه
ثم رويناه لونا وعبير
وعشقناه ، عشقنا وهمنا الغالي الغرير
...
فترة ثم تلاشى ذات ليلة»(١٥)

وقد يتضح هذا « الضمير » قليلا . ولكن الشاعرة تابى الا ان تبقيه حلما وطيفا ، ليكون مؤهلا أن يتلاشى ، تقول في قصيدة « نسيان »(١٦)

« احقا حببتك يوما ؟ وكيف ؟
أم كنت طيفا بحلم عبر
وهب كنت طيفا تعشقته
فكيف تلاشى الهوى واندثر ؟»

ونحن نعرف دون شك ، ان حب الطيف يملك نفس قدرة الطيف على التلاشي . وفي قصيدة « في الكون المسحور »(١٧) تتيح الشاعرة لخيالها ان يرى وهي في نزهة قمرية ، انسانا يحدثها ، فتجد في عينيه « شموسا تتحرق ، ونجوما تتالق » ولكن فجاة :

« ماذا ؟
الحلم تفلت من عيني ، هنا عادت حولي
الغرفة تقبع والجدران هنا وفراغ منظور
انهد الكون المسحور .
منهارا في قلب الليل »

يبقى الطموح لدى الشاعرة فدوى طوقان طموحا خائبا . والتوق الى الحب ، لا يملك الا مقدرة على الاختلاق والوهم . وتلك الخيبة وهذا الاختلاق يتحدان ، لتشويه صورة الواقع ، او للمبالغة في الاحساس بظلماته . فهي تجيب صديقا يفاتحها بحبه ، قائلة :

« تجني ؟
لا ، ردها»(١٨)

ولا ترتضي منه الا بوده الكبير الذي تحتمي بظله الامين في دربها الطويل ، لان من أحبها قد مات :

---

١٥ ــ المصدر السابق ، ص ٢١ .
١٦ ــ المصدر السابق ، ص ٢٦ .
١٧ ــ وجدتها ، ص ٦٣ .
١٨ ــ أمام الباب المغلق ، ص ٨٥ .